الـــزاويــــة الـــتـــجـــانـــيـــة - بــاب الــخــضــراء - تـــونـــس

الإمـــام الـــخـــطـــيـــب - الحاج الحبيب بن حامد

أفضليّة سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلّم

على سائر الأنبياء والرّسل

 الخطبة الأولى

16/11/2007 – 03/01/2014 – 23/01/2015

الحمد لله الذي أشرق قلوب المجتهدين بواضح سلطانه وأفاض عليهم ضياء شموس أدلّة برهانه وأنارهم بالفتح الأكبر والفيوضات الأقدسيات وبرّأهم من وصم رجم الغيب بالتخمينات والحدسيات وأيّدهم بما أيّد به رُسُلَهُ وأبَّدَ فيهم حقائق الحق وسُبُلِهُ والصّلاة والسّلام على خاتم الأرسال ومُمِد الخلق أجمعين وعلى آله وجميع أُمّته الأبدال الطيّـبين ؛

ونشهد أن لا إله إلاّ هو وحده لا شريك له وأنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله، أَوْحَى إليه بِشَرْعٍ وأَمَره بتبليغه لنفسه ولغيره وجعله بحكمته وفضله أوّل المُرسلين خَلقا وآخرهم بعثاً صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم تسليما،

قال صلّى الله عليه وسلّم « كُنْتُ نبيًّا وآدمُ بَيْنَ الرُّوحِ والجسدِ » [[1]](#footnote-1) فالرّسُل متساوون في أصل النبوّة لكنّهم متفاضلون في الدّرجات بتفضيل الله سبحانه لهم وأفضلهم إطلاقا سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلّم.

فدرجة إبراهيم الخِلّة ودرجة داوود أن جمع الله له بين المُلك والنبوّة وطيب النعمة ودرجة سليمان تسخير الجنّ والإنس والطير والرّيح ولم يحصل هذا لأبيه داوود، وأمّا درجة سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهي الخلافة المُطلقة عن الله تعالى في الدنيا والآخرة وإرساله إلى الجن والإنس تكليفا وإلى غيرهم تشريفا ونَسخُ شرعه لسائر الشرائع المتقدّمة، قال تعالى وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ [[2]](#footnote-2) الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا [[3]](#footnote-3)

وأمّا أفضليّته صلى الله عليه وسلّم فمنها :

 وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ [[4]](#footnote-4) أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ \* وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ \* الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ \* وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ [[5]](#footnote-5) وقَرَنَ ذكر الله بذكر نبيّه محمّد في التشهّد والآذان وقرن طاعتَهُ بطاعتِهِ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ [[6]](#footnote-6) وجعل بيعتَهُ بيعتِهِ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ [[7]](#footnote-7) وقرن عزَّتُهُ بعِزَّتِهِ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ [[8]](#footnote-8) ورضَاهُ برضاهِ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ [[9]](#footnote-9) وإجابَتَهُ بإِجابتِهِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ [[10]](#footnote-10) ومحبَّتَهُ بمحبَّتِهِ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ [[11]](#footnote-11) ومعجزاته باقية إلى قيام الدهر ومعجزات الأنبياء انقرضت بموتهم، ومنها أنّه اجتمع فيه من الخصال الحميدة ما تفرق في جميع الأنبياء « إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ » [[12]](#footnote-12) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ [[13]](#footnote-13) أي أطلعناك على خصالهم فاخترت أنت أجودها وأحسنها فلا يجوز أن يقتدي بهم في أصول الدين فإنه تقليد ولا في الفروع لأن شرعه ناسخ للشرائع قبله فثبت أنها في محاسن الأخلاق لا في التشريع.

وأمّته أفضل الأمم كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ [[14]](#footnote-14) فأفضليّة التابع (الأمّة) تعني أفضليّة المتبوع صلى الله عليه وسلّم وأمّته أكثر لِبعثه إلى الإنس والجن 80 صفّا و40 صفّا لباقي الأنبياء أجمعين، فلِأَكثَرِيَّةِ الأَتْبَاعِ أثَرٌ في كثرة ثواب المتبوع صلى الله عليه وسلّم.

ونودي كلّ نبيّ باسمه يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ [[15]](#footnote-15) يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ [[16]](#footnote-16) يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ [[17]](#footnote-17) ولم ينادى هو إلا بصفة التعظيم "يا أيّها النبيّ" يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا [[18]](#footnote-18)، "يا أيّها الرّسول" يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ [[19]](#footnote-19) وأقسم بحياته لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ [[20]](#footnote-20) قال صلى الله عليه وسلّم لأصحابه لمّا سمعهم تعجّبوا فيما أعطاهم الله وفي درجات الرّسل فسلّم عليهم وقال لهم « قد سمعتُ كلامكم وعجبكم : إِن إِبراهيم خليلُ الله، وهو كذلك، وإن موسى نَجيُّ الله، وهو كذلك، وإن عيسى رُوحُ الله وكلمتُهُ، وهو كذلك، وإن آدم اصطفاه الله، فهو كذلك، ألا وأنا حبيبُ الله ولا فخر، وأنا حامل لواءِ الحمدِ يوم القيامة ولا فخر، وأنا أكرمُ الأولين والآخرين على الله ولا فخر، وأنا أَوَّلُ شافِع وأول مُشَفَّع يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول من يُحرِّك حَلَق الجنة، فيفتح الله لي فيُدخلنيها ومعي فقراءُ المؤمنين ولا فخر » [[21]](#footnote-21) وفي الصّحيحين « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الأنْبِيَاءِ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي الأرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَة وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً » [[22]](#footnote-22) وروى البيهقي « أنه ظهر علي بن أبي طالب رضي الله عنه من بعيد ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : هَذَا سَيِّدُ العَرَبِ. فقالت عائشة رضي الله عنها : ألَسْتَ أَنْتَ سَيِّدَ العَرَبِ ؟ فقال : أَنَا سَيِّدُ العَالَمِينَ وهو سيِّدُ العرب » [[23]](#footnote-23) فلمّا عمّت رسالته ظهر لكلّ عاقل أنه أعطى كنوز العلم والحكمة وذخائر المعارف والحقائق ومن جوامع الكلم وبدائع الحكم ومحاسن العادات ومكارم الأخلاق ما لم يؤت نبيّ قبله ولن يؤت أحد بعده كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ [[24]](#footnote-24) أي في الإيمان بهم أي في الإيمان بمرتبة النبوّة وتعظيمها واحترامها وأما الإتباع فلا نتّبع إلا شريعة سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلّم وليس لنا قدوة غيره صلى الله عليه وسلّم.

اللهمّ صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد طبّ القلوب وشفائها وعافية الأبدان ودوائها سراج العقول ونور البصائر وسرّ الوجود بل هو عينه وعلى جميع آله الأبرار وصحابته الأخيار وأفراد أمّته الأطهار،

اللهمّ بارك لنا في أعمارنا وفي أعمالنا وارزقنا من خير ما سألك منه سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم،

آمين والحمد لله ربّ العالمين.

1. {رواه الترمذي والحاكم وصححاه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" والبيهقي في "الدلائل" وأخرجه الإمام أحمد في المسند} [↑](#footnote-ref-1)
2. {سورة آل عمران الآية 85} [↑](#footnote-ref-2)
3. {سورة المائدة الآية 3} [↑](#footnote-ref-3)
4. {سورة الأنبياء الآية 107} [↑](#footnote-ref-4)
5. {سورة الشرح الآية 1 و 2 و 3 و 4} [↑](#footnote-ref-5)
6. {سورة النساء الآية 80} [↑](#footnote-ref-6)
7. {سورة الفتح الآية 10} [↑](#footnote-ref-7)
8. {سورة المنافقون الآية 8} [↑](#footnote-ref-8)
9. {سورة التوبة الآية 62} [↑](#footnote-ref-9)
10. {سورة الأنفال الآية 24} [↑](#footnote-ref-10)
11. {سورة آل عمران الآية 31} [↑](#footnote-ref-11)
12. {حديث صحيح، رواه البيهقي في السنن الكبرى والحاكم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه الإمام أحمد، ورواه مسلم في الصحيح عن محمد بن عبد الله بن نمير عن ابيه، واخرجه البخاري} [↑](#footnote-ref-12)
13. {سورة الأنعام الآية 90} [↑](#footnote-ref-13)
14. {سورة آل عمران الآية 110} [↑](#footnote-ref-14)
15. {سورة البقرة الآية 35} [↑](#footnote-ref-15)
16. {سورة القصص الآية 30} [↑](#footnote-ref-16)
17. {سورة آل عمران الآية 55} [↑](#footnote-ref-17)
18. {سورة الأحزاب الآية 45 و46} [↑](#footnote-ref-18)
19. {سورة المائدة الآية 67} [↑](#footnote-ref-19)
20. {سورة الحجر الآية 72} [↑](#footnote-ref-20)
21. {حديث صحيح، أخرجه الترمذي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما} [↑](#footnote-ref-21)
22. {البخاري ومسلم في الصحيحين عن جابر بن عبد الله} [↑](#footnote-ref-22)
23. {رواه البيهقي في « فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ » رضي الله عنهم} [↑](#footnote-ref-23)
24. {سورة البقرة الآية 285} [↑](#footnote-ref-24)